ذكرى ابي العلاء

هتفوا والحمى تموج جنانه ما ضجيجُ الحمى وما مهرجانه
أهشام على السرير وعز الـ ـملك يطوي لمع الضحى لمعانه
أم وفود الحجاج تطري فتاها وابن مروان وارف سلطانه
أم خيال من آل جفنة كالفجـ ـر يغني بطيفه حسّانه
فكأن النعمان قد حشد العر ب وكسرى زاهٍ به إيوانه
ما درى الهاتفون أية ذكرى هيجت ربعهم فرف حنانه
تلك ذكرى أبي العلاء وما ذكـ ـراه إلا الربيع أو ريعانه
دار والدهر وحيه فتراه فلكاً ليس ينقضي دورانه

* * *

كذب الشعر ما وفى حقه الشعـ ـر ولا أدى فضله انقانه
هيكل من نعومة الحس بال لم يطقه من البلى جثمانه
واديم مرمم هدّه الضعـ ـف فكادت تمجه أردانه
ذاب حتى تخاله العين وهماً أمن الوهم شفّه ذوبانه
عصب ثائر ولا ثورة النا ر وفكر لم يتئد هيجانه
اركبت الخضمّ في عصفة الريـ ـح فما موجه وما طغيانه
يطمئن العباب بعد مثارٍ اين منه على الدجى اطمئنانه
لو أصابت ملكاً عضوضاً قوافيـ ـه لمادت من وقعها أركانه

* * *

انما الشعر ثورة من صميم القـ ـلب ، ما لحنه وما أوزانه
ان لويت الحديد عن عاتق الشعـ ـب تلوّت بسحره قضبانه
دول كالاحلام تدرج في الار ض وتبقى ندية أفنانه

هدم الدهر مشمخر المباني وسما عن تهدمه بنيانه
رب تاج على جوانبه الدر — نضيد ازرت به تيجانه
اين صوب القلوب والفكر الغر — تعالى مثل السماء مكانه
ثورة في اعتساف كل عنيد تتلظى في وجهه نيرانه
وهدى في الانام يلمح كالصبح فتمشي بضوئه عميانه
أي سمع لم ينبسط لاغانيه وقلب ما هزه تحنانه
يطرب البلبل المغرد في الرو ض فتندى من صوته أغصانه
ويفيض القريض في المحفل الظمآن حتى يروى به ظمآنه
لا يعز الله العزيز رجالا لم يكرم في ظلهم فرسانه

* * *

يا ضريحاً على المعرة ما استو حش منه في ليلة جيرانه
عاف رب الضريح كل نعيم في حواشيه ذله وهوانه
لم يفجع أماً بما ترضع الام — فغذت رضيعها ألبانه
يمرح الطير في ذراه أميناً ملء عينيه في الفضاء أمانه
حسبه الماء والقفار من الخبز فهذا نعيمه وليانه
ما رفيف القصور ، ما ترف السلطان ، ما تاجه وما صولجانه
رب كوخ أشهى إليه من القصر وان ماج انسه وقيانه
عيشة الفكر لا حياة جماد مات احساسه وطاح كيانه
عيشة الحس والعواطف والفن — ففيها صراعه وطعانه
هكذا المرء فكرة وشعور لا جماد العرا ولا حيوانه

* * *

يفخر الناس باللآلئ من كسب حرام ، وفخره ديوانه
لم يضره فقد النواظر فالقلب بصير تفتحت أجفانه
قد يرى المرء بالفطانة ما ليس تراه على النوى أعيانه
كم بصير أعمى الجنان إذا أمّ — سبيلا ضل السبيل جنانه

* * *

فلسفي التفكير إن رام فكراً ... في عنان السماء لان عنانه
يتهادى على خضمّ المعاني ... لم يفتّه موج ولا حسبانه
وزن الدهر والخلائق والنا ... س ولم يخطئ شعرة ميزانه
لمس الدنيا باليدين وجالت ... في خبايا رجالها آذنه
فتخطّى القلوب حتى وعاها ... فجلاها مثل الضحى تبيانه
فترى اللؤم أصفر اللون يخفي ... نهشة الموت والاذى ثعبانه
وترى الكذب جائلا في مداه ... ثم تغدو قصيرة أشطانه
وترى الخبث ثعلباً يتلوّى ... لم يطل مكره ولا روغانه
ويظل الغبي بالزهو يهذي ... ما زهوّ الغبي ، ما هذيانه
صور أملاها الزمان عليه ... فرواها كما رواها زمانه
يهرم الدهر والتصاوير باق ... سرها لا يمسه حدثانه

* * *

راحة القبر لحنه وأغانيـــه فما التذّت غيرها ألحانه
ما شفاه كالها الروح والريحـــان ، في دفن جسمه ريحانه
ما ثدي كأنها حب رما ... ن على الصدر ، في الثرى رمانه
ما عيون الغزلان والسحر فيها ... فلمنايا في شعره غزلانه
فكأن الفناء دفء من البر ... د وقد طال قرسه وأوانه
أو كأن الهلاك ظلة حر ... يتلاشى في ظلها وهجانه
امل ذاهب ويأس مقيم ... طال في جانبيها خطرانه

* * *

أذعن الناس للسلاسل فانقا ... دوا واعيا أصنامهم إذعانه
ثار من زخرف السياسة فيهم ... فتحدى طغاتها شيطانه
كل علج في ظلها عربي ... من معدّ يسمو به عدنانه
ما رأى منها محسناً يسع الامـــة في ليل ظلمها إحسانه
ذهب الصادقون منها على الدهر — فجاشت لفقدهم أحزانه
وتمطى في جنبه كل دجال — توالى على الورى بطلانه

نهب الشعب واستباح حمى الشعـــب فمنه قصوره وجنانه
ضجّ منه أبو العلاء ومن غفـــوة شعب ما هاجه عدوانه
صاح : أين الامام في الوطن الحر — تغني بعدله أوطـــانه
أين أين الامام في أمة يصـــدق فيها فؤاده ولسانه
لا تراه يذوب في كل لون لم يحل عهده ولا ألوانه
انما الملك خدمة ملؤها الصـــدق وقلب ما يلتوي ايمانه

* * *

فسد الخلق من قديم الليالي واستوت في فساده أزمانه
فكأن الانسان في الغار من أمـــس ولم تنخسف به غيرانه
أفلا تشهد الزحام على الار ض وهذي جروحه وأنانه
كم بكى الجن والاناسي من هو ل ألحت عليهما أشجانه
لم يبدل غرائز الناس علم بدل الأرض والسما ميدانه
وعظ الواعظون منا طويلا ما شفى وعظهم ولا برهانه
ليت نوحاً على السفينة والكو ن غريق يعمه طوفانه
فلعل الايام تأتي بجيل لم تروّع سخاله ذؤبانه

* * *

خفف الهمس ما أظن رفات الشـــيخ يرضى بضجة لقيانه
عاش في عزلة ومات عليها في هدوء اعتزاله رضوانه
لم نكرم أبا العلاء ولكن كرمته آياته وبيانه
بعثت جلق روائع ماضيه — وهذي آثاره وعيانه
قسماً بالحمى وما نسج الفجـــر عليه فلا لأت أحضانه
ليس يفنى شعب تغنى بماض ملأ الدنيا نعمة عنفوانه
أرأيتم والمهرجان صداه كيف هبّت سهوله ورعانه
يتناجى شبابها في هوى الما ضي ونجواهم ضمه وضمانه
فمتى ينظم الحمى علم يحمـــل بشرى التفافهم خفقانه

شفيق جبري